وتبقى كلمة

obeikandl.com

obeikandl.com

إن التاريخ ليس مجرد حكايات حدثت فى زمن معين ثم اختفت بين طيات الزمن ، ولكن التاريخ يعيش دائمًا بيننا حتى لو كانت أحداثه قد حدثت فى الماضى ، فهو يترك بصماته دائمًا عبر المستقبل. فما عقائدنا وعاداتنا وتقاليدنا وحتى أفكارنا إلا موروثات هذا التاريخ.

والإنسان العاقل هو الذى يستفيد مما مر به من أحداث. والأمة الرشيدة هى التى تستفيد من ماضيها ، فتتجنب أخطاء الماضى، وتعمل على تفادى ما تردَّتْ فيه من سقطات؛ حتى يكون دافعًا فى بناء مستقبلها.

صحيح أن التاريخ لا يكرر نفسه ، بمعنى أنه من الصعب أن تتكرر الأحداث التى حدثت فى الماضى بنفس الصورة عبر العصور المختلفة للتاريخ ، ولكن يمكن الاستفادة من تجارب التاريخ فى رسم صورة لمستقبل أروع وأجمل .

ومن هنا لم يغالِ هيرودتسْ عندما قال:

« على الزمن ألا يمحو الماضى من تاريخ الإنسانية. وعلينا ألا ننكر على الأعمال العظيمة الرائعة حقها من الشهرة ».

ونحن نرى سيمون أو كلى يقول:

«أبرز العرب أنفسهم منذ أيام محمد على صعيد عالمى بفضل قوتهم العسكرية وتفوقهم العلمى. ولهذا لا يقل تفهم شئونهم ضرورة إن لم يزد عن تفهم أى شعب من الشعوب التى ازدهرت منذ أن سارت الإمبراطورية الرومانية فى طريق الانحلال!!»

إذن قراءة التـ يخ وتفهمه ومحاولة دراسته قوة دفع إلى الأمام.

والذى يقرأ تاريخنا الإسلامى يرى صوراً فى غاية الإشراق .

كما يفتخر بعظمة هذا الدين العظيم الذى أبرز مثل هؤلاء الأبطال العظام الذين غيروا مسار التاريخ الإنسانى كله ،فكل واحد من هؤلاء الأبطال الذين سردنا قصصهم ، أو بمعنى أدق أشرنا إليهم مجرد إشارة أصبع لا يكفى كتابة هذه الإشارة عنه، ولكن يحتاجون إلى مجلدات.

وما أكثر الأبطال فى كل عصور التـ يخ الإسلامى! وسواء أكان البطل هو الذى يصنع التاريخ كما يرى البعض ، أو أن الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هى التى تفرز الأبطال بما يتلاءم مع عصورهم كما يقول البعض الآخر ، فالذى لا شك فيه أن الإسلام هو الجناح الذى تَرعرعَ فى ظلاله الأبطال بقيمهم التى غرسها فى نفوسهم هذا الدين الذى جاء نور هداية للناس فى كل

العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والعجيب أن الأمة الإسلامية تبدو فى كثير من الأحيان أنها لا تستفيد من هذه التجارب ، فتضيعها التفرقة والخصام حتى قال البعض عنهم إنهم دائمًا يتفقون على ألا يتفقوا.

وهذه الفرقة هى الطريق إلى الهزيمة وإلى سيطرة الآخرين عليهم، أو على حد تعبير فريمان وهو يتحدث عن تاريخ العرب:

« لم يكن ثمة مؤمن صادق يشك فى أن خليفة رسول الله الحاكم الشرعى للعالم بأسره ، لكن الخلاف فى الرأى يتسع حول من هو الخليفة الشرعى».

وبنظرة إلى التاريخ نرى كيف وصل الزحف الإسلامى إلى أماكن لم تكن تخطر ببال أحد، يوم اتحدت كلمتهم ، وكان لهم هدف واحد يتجهون إليه بقلب واحد.

ولكن عندما لا يكون هناك هدف ، فإنهم يتوجهون إلى معاركهم بقلوب منكسرة ، موقنين بالهزيمة لا النصر.

وقد انتصروا يوم أيقنوا أن طريقهم إلى النصر هو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ، وأنه مهما كانت قوى العدو فلن يستطيع النفاذ إلى صفوفهم ، والنصر النهائى لهم مهما كانت صعوبة الطريق ووعورته وأشواكه.

لقد اتجه صلاح الدين الأيوبى بكل كيانه إلى الله تعالى، حتى تحقق انتصاره الرائع على الصليبيين.

واتجه قطز بكل إيمانه إلى الله تعالى، فكان انتصاره انتصاره الساحق على التتار.

وعرفنا الانتصار يوم عبرنا القناة، وحطمنا خط بارليف ، وقهرنا الجيش الذى كان يقول عن نفسه إنه لم يعرف الهزيمة عندما كان شعارنا «الله أكبر» لأننا ذهبنا إلى هذه الحروب ونحن موقنون بالنصر من عند الله. أما الذين يذهبون إليها وهم موقنون بالنصر لعدم اعتمادهم على الإيمان بالله ، فإنهم منهزمون قبل أن يطلقوا رصاصة أو سهمًا، أو على حد تعبير «أومان» وهو يتحدث عن الحرب فى العصور الوسطى:

«قد جاءوا إلى القتال يتوقعون الهزيمة. لذا فقد تحققت لهم، فلقد كانوا نصف مهزومين قبل أن تُوجَّه إليهم ضربة واحدة ».

وأنا أقول وأنا أطل بخيالى عبر نافذة التاريخ ، وأرى أمتنا الإسلامية عندما اعتلت القمم، وعندما انحدرت إلى السفح ، وعندما كانت نور هداية للبشر ، وعندما أحاطها ظلام التخلف والتبعية، عندما انطلقت تسود الدنيا كلها ، وعندما وقعت مصفدة فى الأغلال: إنها فى صعودها كانت تتجه نحو هدف واحدة ،

إلى غاية واحدة يدفعها إلى تحقيق النصر ، فتنتصر ، وإنها فى هبوطها كانت تصرفها الأهواء والأغراض والطموحات الشخصية، فتسقط نحو السفح مصفدة بقيود الهوان.

إن فى اتحادنا قوة.

وفى عودتنا إلى حظيرة الإسلام قوة أعظم..

وعندما تتحد أهدافنا تحت مظلة ما بثه ديننا العظيم من قيم نبيلة ومنهاج حياة مستنير ، سوف نعود إلى ما كنا عليه ، أمة عظيمة يخرج من بين أصلابها أبطال عظام.

***

obeikandl.com

obeikandl.com

مراجع الكتاب

١ - القرآن الكريم

٢ - الإصابة فى تمييز الصحابة . . ابن حجر العسقلانى.

٣ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة . . ابن الأثير.

٤ - البداية والنهاية . . ابن كثير.

٥ - الخلفاء الراشدون . . عبدالوهاب النجار.

٦ - رجال حول الرسول . . خالد محمد خالد.

٧ - حياة محمد . . د. محمد حسنين هيكل.

٨ - خاتم النبيين . . الشيخ محمد أبو زهرة.

٩ - مع الأبطال . . محمد رجب البيومى.

١٠ - الصراع بين العرب وأوربا منذ ظهور الإسلام إلى انتهاء ظهور الإسلام. . د. عبدالعظيم رمضان.

١١ - الفتوحات العربية الكبرى . . چون باجوت جلوب (ترجمة خيرى حماد).

١٢ - فاطمة الزهراء . . عباس محمود العقاد.

١٣ - العبقريات . . عباس محمود العقاد.

obeikandl.com